

أثر عصر الأنوار في استقلال الولايات المتحدة الأمريكية

أ.م.د. علي خيري مطرود / كلية التربية / جامعة واسط

م.د. عبد الله لفنة البديري / الجامعة التقنية الوسطى / المعهد الفني / الكوت

المقدمة

يشكل عصر الأنوار مرحلة إعادة تكوين فكري كاملة للتاريخ الانساني، امتازت بإتباع أفكار وفلسفات كانت محرمة حتى الأمس القريب، اذ غادر فيه ومن خلاله العالم، التفسيرات والتأويلات الغيبية المعتمدة على المفاهيم الدينية في تفسير ظواهر العالم وتنظيم السلوكيات اليومية للإنسان، بما تتضمنه من مفردات تعامل يومي سواء على صعيد النظم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية بل الثقافية والدينية منها، فدفع عصر الأنوار بالإنسان للبحث عن آليات جديدة لفهم ما حوله من ظواهر، والتعامل معها على كافة المستويات، ووجد ضالته في العلم الذي يشكل العقل مادة ووسيلته الاولى، ومن هنا راح الإنسان أو قل الأنوار تعيد صياغة كل شيء، وتطرح التساؤلات عن جدوى وأحقية كل شيء.

وفي خضم هذا الكم الهائل من التأثيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي راح يتركها عصر الأنوار، تأثرت عدد من الأمم والشعوب بما نتج عن هذا العصر، لاسيما في مجال السياسة وأنظمة الحكم، وكان من أوائل الدول التي تأثرت وجسدت بشكل فريد عصر الأنوار وفلسفته وأفكاره، هي الولايات المتحدة الأمريكية، التي بقيت مدانة بوجودها حتى اليوم ولحد بعيد لذلك العصر وفلسفته، التي جعلتها المنطلق الطبيعي لمطالبتها بالاستقلال عن بريطانيا البلد إلام، والحجر الأساس الذي شيدت عليه هيكلها المؤسسي والقانوني الذي تعيش في ظله إلى يومنا هذا، وهنا تكمن أهمية الموضوع مادة البحث، إذ تقصت هذه الدراسة، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، الأثر الذي تركه عصر الأنوار بكل ما تعنيه هذه الكلمة، من تأثير في استقلال الولايات المتحدة الأمريكية وبنائها، كي نتمكن بعد ذلك من تحديد الأسس القانونية والفلسفية التي أنتجها ذلك العصر واستخدمتها الولايات المتحدة والتي أوصلتها لما هي عليه من بناء مؤسسي قيم.

الدلالة الاصطلاحية لمفهوم عصر الأنوار

شكل القرنين السادس عشر والسابع عشر البدايات الاولى لظهور مفهوم مصطلح الأنوار أو التنوير (Enlightenment)^(١)، في أوروبا، الذي جاء تعبيراً نزعاً فكرية جديدة قدمت العقل والعلم على التأويلات والمتبنيات الدينية، وتضمن هذا الفكر نزعاً مادية واضحة بعد إقصاء اللاهوت، واعتماد العلم والعقل مصدراً رئيساً للتأويل والفهم بعيداً عن البعد الماورائي بمفهومه الديني، وليس العلمي، الذي غالباً ما يظهر مرتبطاً بالبعد الميثولوجي، وبلغ هذا التيار الفكري ذروته في القرن الثامن عشر على يد مجموعة من المثقفين، الذين دعوا صراحة للتمرد على المفاهيم القديمة واعتماد العقل أساساً في كل شيء واحلاله محل الدين في كثير من مفاصل الحياة، حتى أطلق على هذا العصر "عصر العقل" (The age of reason)، أو دين العقلانية^(٢)، وان لم يكن ذلك العصر هو التنوير بحد ذاته فان التنوير وبدون شك أحد نتاجاته الفكرية^(٣).

لم يقتصر مفهوم التنوير على نمط دون آخر في أوروبا، بل أمتد ليعبر عن حالة فكرية عامة شملت كل القطاعات المعرفية فيها، ووجد البعض ان ذروته الحقيقية تمتد بين عامي (١٦٨٥ و ١٨١٥)، وهي المدة التي ركز فيها فلاسفته واتباعه على اعادة صياغة المفاهيم الدينية الكنسية، بل ومحاربة سطوتها على العقل البشري، ووصل الحد ان انتج هذا الفكر التنويري فلسفة جديدة تقوم في غالب الاحيان على ما عرف بين مفكره "معاداة الاكليروسية" التي تحولت عند بعضهم أساساً لعصر الانوار، ومن أشهر العبارات التي أطلقت آنذاك، ووصفت عصر الأنوار وموقفه من الدين أو قل الكنيسة، ما قاله الأديب الفرنسي إميل زول(Émile Édouard Charles Antoine Zola)(١٨٤٠-١٩٠٤): "إن الحضارة لن تصل إلى كمالها حتى يسقط آخر حجر من آخر كنيسة على آخر قسيس"^(٤).

وعلى الرغم من ان ذلك المفهوم قد يعطي انطباعاً عاماً على ان كل العلماء يومذاك حتى التنويرين منهم كانوا ضد الدين، غير ان ذلك غير صحيح فالكثير منهم انحاز للدين لاسيما علماء القرن السابع عشر، لكنهم ركزوا على ما اسموه ، "الدين الطبيعي"، حين حاولوا ان يبرهنوا على وجود الله عبر توظيف قوانين الطبيعة ونواميسها العجيبة التي توصلوا اليها في نطاق العلوم الطبيعية^(٥). فكان غاليليو (Galileo Galilei)(١٦٤٢-١٦٥٦)، على سبيل المثال ، كاثوليكياً، ولم يكن يرى أي تعارض بين قناعاته العلمية ومعتقداته الدينية، ولم يقلل من الاهمية العامة للكتب المقدسة، لكنه أعتقد ان الكتب المقدسة لا تقدم بالعادة اجوبة علمية صريحة لتفسير وتأويل الظواهر الطبيعية، لان ذلك وبحسب تصوره ليس من اختصاصه، فهو كتاب روحي يعمل على تنظيم العلاقة بين الفرد وخالقه، لذلك يركز على الجنبه الروحية اكثر من تركيزه على الجنبه المادية بمفهومها العلمي، لاسيما أن معظم الحقائق العلمية يصعب معها ان تكشف او تفسر بمفهوم الحس فقط دون الاعتماد على وسائل وطرق أخرى، لذلك رأى انهما اي العلم والدين مصدران للمعرفة لا يمكن ان يتقاطعا، لأن الله هو صاحب كتاب التكوين (الطبيعة)، وهو الذي أوحى كتاب التكوين وفي ذلك يقول: "إن الطبيعة هي المصدر الوحيد للمعرفة العلمية، كما في وسعها ان تكون مصدراً لبحوث اللاهوت وطريقاً إلى معرفة الله"^(٦)، وكان نيوتن(Isaac Newton)(١٦٤٢-١٧٢٧) يعتقد بأن: "عالم الكون يدل على وجود خالق قادر مطلق. وهو ألا تدل آيات الطبيعة وآثارها على وجود كائن غير مادي يتمتع بالحياة والحكمة؟"^(٧).

في حين ذهب بعضهم للقول ان العلوم عبارة عن اداة يمكن من خلالها الاستدلال على قدرة الله تعالى وبدائع خلقه، وللتدليل على ذلك التصور نقتبس هنا ما ذكره روبرت بويل(Robert William Boyle)(١٦٢٧-١٦٩١) وهو احد العلماء المرموقين الايرلنديين إذ يقول: "إن العلم رسالة دينية تتمثل باكتشاف أسرار الخلق البديع الذي أوجده الله"^(٨).

ومهما يكن من أمر، فإن مصطلح التنوير راح يتخلص تدريجياً من الهالة الدينية المسيحية لكي يدل على عصر بأسره هو عصر التحرر العقلي والفكري في القرن الثامن عشر. وعندئذ راح يتخذ شكل المشروع الفكري والنضالي الذي يريد تخليص البشرية الأوروبية وغير الأوروبية، من ظلمات العصور

الوسطى وهيمنة رجال الكنيسة، بالطبع فإن المشروع كان ضمناً لا علنياً، بسبب خوف الفلاسفة من السلطة والكنيسة المرتبطة بها عضويًا^(٩).

إلى جانب كل ذلك فإن عصر التنوير، ترك تأثيره جلياً على معظم التصورات الفكرية التي كانت تتبناها الحركات الوطنية، ليس في قارة أوروبا حسب، بل على الحركات الوطنية في مناطق أخرى من العالم، بما في ذلك الحركات الوطنية في القارة الأمريكية، وفي مقدمتها الحركة الوطنية داخل المستعمرات الانكليزية في أمريكا الشمالية، التي قادت فيما بعد، لإعلان استقلالها عن البلد الأم، فمما لاشك فيه أن التنوير بكل أفكاره ومبادئه وفلسفته، مثل الحجة السياسية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية التي أستخدم عليها الأباء المؤسسون في تبنيهم لمفهوم الاستقلال، ويظهر ذلك جلياً لكل من يطلع على طبيعة الأفكار والفلسفات التي سطورها سواء في وثيقة الاستقلال أم في الدستور الأمريكيين، بل وفي طبيعة ونوعية المؤسسات التي تم أنشاؤها فيما بعد لخلق دولة قانونية مؤسساتية تعتمد الفكر التنويري الحديث فلسفة لوجودها السياسي والاجتماعي والثقافي بل الاقتصادي إلى حدٍّ ما .

ثانياً : اثر عصر التنوير في استقلال الولايات المتحدة الأمريكية.

مع إن هناك العشرات من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حفزت الشعب الأمريكي نحو الحرب وإعلان الاستقلال عن بريطانيا البلد الأم^(١٠)، غير إن العامل الفكري يبقى أبرزها، إذ مثل الأساس الذي استندت إليه الفلسفة التي بنى عليها رجال الثورة طموحاتهم، وحججهم نحو المطالبة بالاستقلال، وتجسد العامل الفكري للثورة، من خلال التأثير الواضح الذي تركه عصر التنوير الأوروبي على قادة الثورة وفلسفتهم، بل على صياغتهم لنظامهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي فيما بعد.

لذلك فإن التنوير الأمريكي لم يكن نمطاً من التفكير الذاتي المستقل، بقدر ما مثل نوعاً من التقليد السياسي الذي تم استيراده إلى أمريكا من عدد من الساسة والمفكرين الأمريكيين من أمثال بنجامين فرانكلين (Benjamin Franklin) ^(١١)، وتوماس جيفرسون (Thomas Jefferson) ^(١٢)، وجيمس ماديسون (James Madison) ^(١٣)، الذين تشبعوا بمفاهيم التنوير الأوروبي^(١٤)، وتمسكوا بالتنوير الثوري الفرنسي والاسكتلندي منه بشكل خاص^(١٥)، إلا أنهم مع ذلك لم يكتفوا بنقل تلك الأفكار إلى بلدهم حسب، بل عملوا على تعديلها وتطبيقها قبل إدراجها في وثيقة الاستقلال التي كتبها جيفرسون أو في الدستور أو في لائحة حقوق الإنسان التي مثلت استحقاقاً وطنياً طالبت به عدد من الولايات كشرط لقبولها الدستور الجديد^(١٦).

بدأ عصر التنوير الأمريكي في عام ١٦٩٠، إلى انه لم يبلغ ذروته إلا في عام ١٧٣٠، ومع إن أصول التنوير الأمريكي كانت أوروبية في الغالب، إلا أنها وجدت لها صدى في العديد من الشخصيات والمؤسسات الأمريكية التي تبنتها وعملت على نشرها داخل المستعمرات الأمريكية حتى وإن كانت تلك المفاهيم تتعارض جزئياً مع فلسفة الأشخاص أو المؤسسات التي تبنتها^(١٧).

كانت المؤسسات التعليمية في مقدمة المؤسسات التي تبنت نشر أفكار عصر التنوير ومنها البيوريتانية (Puritan)^(١٨). فالكليات الدينية البيوريتانية الصغيرة كانت إحدى بضعة أماكن حيث نوقشت فلسفة التنوير، ودعم مفكرها وعلمائها الدينيين الممازجة بين الايمان والعلم فصرح رجل الدين البيوريتاني الشهير جون وازي (John Wise)، بان: "إتباع الله والإيمان بالمسببات هو الشيء نفسه"^(١٩). وبمرور الزمن وانتشار فكر التنوير في مختلف أرجاء المستعمرات الأمريكية، توسعت هذه الكليات بسرعة، وتحولت أماكن لتربية مفكري التنوير، أما بالنسبة للأفراد الذين تبنوا الفكر التنويري وعلى امتداد المستعمرات الأمريكية، فركزوا نشاطاتهم على إحياء الكتابات الكلاسيكية ومحاولة استلهاهم ما فيها، على الرغم من أن البعض اعترض على هذه الفكرة مؤكداً أن عصر "التنوير الأمريكي لم يستهدف إحياء الكتابات الكلاسيكية، بل هدف إلى خلق بيئة جديدة أراد فيها الناس الحصول على الحكمة والمعرفة الحديثة وكانت تلك الرغبة هي التي ألهمت الناس لصنع الأحداث الجديدة في العلم والدين والسياسية"^(٢٠).

لقد كان عصر التنوير الأمريكي في القرن الثامن عشر حركة شعارها التركيز على العقلانية، عوضاً عن التقاليد الموروثة، وعلى البحث العلمي عوضاً عن التسليم المطلق بالعقيدة الدينية، وعلى الحكومة ذات الصفة التمثيلية عوض الملكية المطلقة، وركز المفكرون والكتاب التنويريين على مثل عليا كالعدالة والحرية والمساواة على إنها الحقوق الوطنية للإنسان^(٢١).

وبعد أن بدأ التنوير ينتشر في المستعمرات الأمريكية، وأصبح أكثر من مجرد تقليد سياسي، وتحول إلى نمط فكري ثقافي، امتزجت فيه الأفكار الأوروبية بالرؤى الأمريكية، راح التنوير وبما يحمله من روح ثورية على كل ما هو موجود، يترك أثاره واضحة في كل مجالات الحياة في المستعمرات الأمريكية التي تفاعلت كلها فيما بعد، لتنتج عنها الفلسفة التي على أساسها انطلقت الثورة وعملية البناء السياسي للدولة الحديثة لما يسمى اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية.

كان المجال السياسي من أكثر المجالات التي تأثرت بعصر التنوير ففلسفة ذلك العصر وأفكارهم، هي التي قادت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الثورة على بريطانيا، وإعلان استقلالها وتعميق مبادئها التي تعيشها اليوم، فمن خلال التنوير أدرك الناس ان الحاكم عليه أن يلتزم بالقانون الأعلى للبلاد، فالعقول الأمريكية من قبيل توماس جيفرسون والكسندر هاملتون (Alexander Hamilton)^(٢٢)، وجون آدمز (John Adams)^(٢٣)، وصموئيل آدمز (Samuel Adams)^(٢٤)، كانوا قادرين على استلهاهم أفكار جون لوك، وديفيد هيوم، وادم سميث، وتحويلها إلى واقع ملموس باتجاه خلق حكومة تحصل على شرعيتها من الناس، فالإباء المؤسسون تمكنوا من إقامة نظام دقيق ومتوازن يلزم الحكام بالقانون الأعلى للبلاد، كما أرادوا أن يخلقوا حكومة تحمي الحقوق الطبيعية للشعب^(٢٥).

وعلى أساس مفاهيمه عمدوا الى اعادة صياغة علاقة المستعمرات بالحكومة البريطانية وملكها جورج الثالث (George III) (١٧٣٨-١٨٢٠)، فتوماس بين (Thomas Paine)^(٢٦)، في عمله الاشهر الادراك المشترك (Common Sense)، ناقش طويلاً في نوع العلاقة بين المستعمرات والملك، ووصل لنتيجة ان كل علاقة من هذا النوع تقوم على أساس المنافع المتبادلة المشتركة، وفي حالة المستعمرات

الأمريكية فان طبيعة المنافع لم تصل بها حدًا يضطرها الخضوع لحكم وراثي، وان الملك او الحكومة أيا كانت اذا لم تهتم بأمور رعاياها، فلا داع لوجودها، ومنها عبر عن عدم الحاجة للتمسك بفكرة وجود ملك للمستعمرات^(٢٧).

كما اشار بين الى ان الحكومة البريطانية وضعت مصالحها الخاصة قبل مصالح المستعمرات، التي شبهها بانها كانت تمر بمرحلة طفولة، لذلك كانت بحاجة لرعاية بريطانية وحمايتها، لكنها الآن كبرت وبإمكانها الوقوف والصمود لوحدها، ولم تعد بحاجة لبريطانيا، بل ذهب أبعد من ذلك حينما عد الوجود البريطاني عائقاً امام نمو المستعمرات الأمريكية وتطورها، لاسيما في المجال الاقتصادي، لمنعها المستعمرات من المتاجرة مع الأمم والدول الاخرى حول العالم^(٢٨)، وبذلك وبحجج من قبيل المنافع الاقتصادية وفق مفهوم الحرية التجارية، والحقوق السياسية والاجتماعية وفق مفهوم " الحقوق الطبيعية"، دعا بين سكان المستعمرات للثورة، فطرح فلسفة عصر التنوير أسس مجتمع الدولة وأسس العلاقة بين الدولة والمجتمع والأفراد، باعتبارهم مواطني الدولة، أي مفاهيم الحقوق والواجبات والقانون واستلزم طرْحاً جديداً كهذا تقويض دعائم العهد القديم وتجسيد لتصور جديد للفرد والمجتمع .

كان توماس جيفرسون في مقدمة رجالات الثورة الذين تأثروا بفكر عصر التنوير، وكان رجلاً جديلاً متأثر بالمفكرين الثوريين بقوة، لاسيما بثلاثة منهم هم إسحاق نيوتن، فرانسوا بيكون (Francis Bacon) (١٥٦١-١٦٢٦) وجون لوك (John Locke) (١٦٣٢-١٧٠٤) ، الذين وصفهم برسالة بعث بها إلى طبيبه في فيلادلفيا بنجامين روش (Benjamin Rush)، بأنهم " كانوا الثالوث الأعظم الذي أنجبهم العالم على الإطلاق"^(٢٩)، وعلى الرغم من إن الكثير من القادة الأمريكيين كانوا يتبنون فلسفة لوك ومبادئه في السلطة والحكم، غير إن جيفرسون كان المدافع الأبرز عنها^(٣٠).

كان الرجل الآخر ممن رسموا مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية وفق نظريات فلسفة عصر التنوير هو جورج واشنطن (George Washington)^(٣١)، الذي اظهر أولى علامات انتمائه السياسي لفلسفة ذلك العصر في خطابه الوداعي الذي بعث به إلى حكام الولايات الثلاث عشرة قبيل تنازله عن موقعه الحكم في حزيران عام ١٧٨٣، وضمنه عدد من الجمل الطويلة التي حاول فيها وصف حالة الولايات الأمريكية بعد الحرب، فجاءت الجملة الأولى لتصف حالة أمريكا الطبيعية والجغرافية، فيما وصفت الثانية أوضاعها الاجتماعية والثقافية، وهي الأهم إذ كشف فيها واشنطن انه والولايات الأمريكية يسعون للخروج من عصر الجهل والخرافات إلى عصر العلم فكتب قائلاً: "إن مؤسسة امبراطوريتنا لم تعد تتمسك بالعصر الكئيب للجهل والخرافة.... فقد أصبحت حقوق الناس معروفة ومفهومة للجميع بشكل جيد وأفضل مما كانت عليه في الفترة السابقة"^(٣٢).

تحولت افكار لوك ورؤاه الى مصدر رئيس للفلسفة التي قامت عليها الولايات المتحدة الأمريكية، فيشير لوك لضرورة فصل الدين عن الدولة، ويعلل ذلك بأسباب كثيرة، ابرزها ان الحكومة لا تفرض مبادئ اخلاقية عامة، انما عليها ان تعمل على حماية حقوق الفرد ينتهكها الآخرون^(٣٣)، واذا ما استعرضنا وثيقة الاستقلال لوجدنا تأثيراً قوياً لأفكار توماس جيفرسون الذي مثل المصدر الرئيس لكثير من الافكار والمبادئ

التي دونت فيها، فلقد كان تأثير لوك واضحاً على جيفرسون حتى قبل الثورة، ففي رسالة له بعث بها الى حاكم فرجينيا، كتب على طريقة لوك يقول: "انهم ناس احرار يدعون لحقوقهم، التي اشتقت من قوانين الطبيعة، وليست هدية من حاكمهم"، مؤكداً ان اسلاف الامريكيين "امتلكوا الحق الذي منحتة الطبيعة للإنسان، بما في ذلك الهجرة من بلد ليس فيه فرصة عظيمة، ودخولهم للبلاد وتأسيس مجتمعات جديدة هناك"^(٣٤)، وهو ذات الامر الذي اسماه لوك الحق الطبيعي.

ربما كانت الفقرة الثانية من اعلان الاستقلال اكثر الفقرات التي تأثرت بفلسفة التنوير، التي تعززت بوثيقة اعلان فرجينيا للحقوق، الذي كُتب قبلها بشهر، على يد جورج ميسن (George Mason) (١٧٢٥-١٧٩٢)، الذي تبنى تقريباً كل الافكار التي وردت في كتاب لوك، "نوعان من الحكومة المدنية"، ففي الوقت الذي اعلن فيه لوك ان في الحالة الطبيعية كل الناس يتمتعون بالحرية، المساواة، كتب ميسن قائلاً: "ان كل الناس طبيعياً يتمتعون بالحرية، والمساواة، والاستقلال على حد سواء"، وحين كتب لوك عن الحقوق الطبيعية الاساسية قائلاً بانها تشتمل على "حق الحياة، والحرية، والملكية"، كتب ميسن "حق الحياة والحرية ووسائل اكتساب وامتلاك الملكية ومتابعة تحصيل السعادة والامان"، فيما عدد جيفرسون تلك الحقوق "بحق الحياة، الحرية، والسعي خلف السعادة"^(٣٥). فآثر ذلك في نفوس وفكر الأمريكيين كثيراً لدرجة أنهم جعلوه فاتحة لوثيقة استقلالهم التي تبدأ القول: "أنا نؤمن بان هذه الحقائق بديهية وان جميع البشر خلقوا متساوين أنهم منحوا من قبل خالقهم حقوقاً ثابتة من بينها الحرية والسعي وراء السعادة"^(٣٦).

ثم تسترسل الوثيقة لتستند الى مبدأ آخر من مبادئ فلسفة عصر التنوير وتحديد فلسفة جون لوك التي وجدت لها تأثيراً مباشراً في كل مفاصل العملية الاستقلالية الأمريكية، إذ أكد الوثيقة أثناء تحديدها لمفهوم الحكومة ومهمتها على "إن الحكومة تنشأ للمحافظة على هذه الحقوق"^(٣٧). وهو عين ما دعا إليه جون لوك في فلسفته إذ يقول "إن الدولة وجدت لتخدم الناس الذين أنشئوها فهم لم يوجدوها ليعخدموها فالغرض من الدولة هو صالح المجتمع والشعب"^(٣٨). وربما يتجسد تأثير فلسفة التنوير في الثورة الأمريكية بشكل اكبر عند الحديث عن قانونية الدولة ومدى الشرعية التي يجب أن تتمتع بها، إذ يصر فلاسفة عصر التنوير على إن الحكومة يجب أن تستند في شرعيتها على الناس وان تكون بحسب تعبير أحدهم "مقبولة لدى الناس"، فكتب ميسن قائلاً في نفس السياق "ان كل السلطة مأخوذة منهم، وبالتالي مشتقة منهم، ولذلك فان السيد هو خادم لهم وطائعاً في كل الاوقات"، فيما كتب جيفرسون قائلاً "ولضمان لهذه الحقوق، فان الحكومات يجب ان تؤسس من خلالهم، وتأخذ قوتها وسلطانها من موافقة المحكومين"^(٣٩)، ومن ذلك اعتبر الأمريكيون إن شرط استمرار الحكومة هو مدى مقبوليتها لدى الناس وأدرجوه مبدأ أساسياً من المبادئ التي طرحتها وثيقة الاستقلال حينما تقول "تم إنشاء الحكومات بين الناس لتستمد سلطانها بموافقة المحكومين"^(٤٠).

كان سياسيو القرن الثامن عشر الذين اجتمعوا في فيلادلفيا من أنصار نظرية مونتسكيو (Montesquieu) (١٦٨٩-١٧٥٥) في السياسة والحكم، وهي عبارة عن مبدأ يقوم على أساس توازن القوى السياسية، هذا المبدأ الذي كان من الطبيعي أن تؤيده الخبرة الاستعمارية وتدعمه كتابات "لوك" التي كان يعرفها معظم النواب، فأدت هذه التأثيرات إلى إدراك ما تقتضي به الضرورة من قيام ثلاثة فروع

متساوية ومتناسقة للحكومة بحيث تضمن توافر الانسجام في العمل جميعاً وبحيث لا تطغى أحدها على الأخرى^(٤١).

وكانوا بتصوراتهم تلك يتبنون من حيث يعلمون أو لا يعلمون نظريات فلسفة الحكم التي سادت عصرهم "عصر التنوير"، والتي نادى بها معظم فلاسفة ذلك العصر وفي مقدمتهم روسو ولوك، الذي تنسب إليه نظرية تقسيم السلطات إلى عدة أقسام منها التشريعية والتنفيذية والقضائية^(٤٢)، إذ يرى لوك من الصعوبة بمكان المحافظة على الحرية إذا كانت السلطات الثلاث مجموعة بيد جهة أو شخص واحد ويقول في هذا الصدد: "لا يمكن تحقيق الحرية إذا كانت سلطة وضع القوانين وسلطة تنفيذها وسلطة الفصل في المنازعات مجتمعة كلها أو ممتزجة بين ذات الأيدي والأشخاص"^(٤٣)، فتركت رؤية لوك تلك تأثيرها عميقاً في ساسة القرن الثامن عشر في أمريكا، لاسيما وهم على أعقاب بناء نظام جديد في المستعمرات، يفترض أن يكون نظاماً ديمقراطياً تُضمن فيه الحريات على مختلف أنواعها وأشكالها، لذلك تبناوا عملية فصل السلطات كمبدأً أساسياً وجوهرياً يستند إليه النظام السياسي الجديد الذي كان من المفترض أن يقوم في البلاد، وذلك ما ذهب إليه الأمريكيان حينما قسموا السلطة في البلاد إلى ثلاثة أقسام تشريعية وتنفيذية وقضائية^(٤٤).

ومع أن الدستور الأمريكي تبنى نظرية فصل السلطات التي نادى بها لوك، إلا أنه لم يتبناها بالكامل، إذا إن السلطة التشريعية وفق رؤيا لوك يجب أن تكون أعلى من باقي السلطات، في حين إن الدستور الأمريكي ساوى بين السلطات الثلاث^(٤٥)، ويظهر أن الأمريكيين مزجوا بين نظريتي فصل السلطات عند كل من لوك ومونتسكيو، فالأخير وعلى الرغم من مناداته بفصل السلطات؛ إلا أنه لم يكن يطالب بالفصل التام بينهما، بل كان يقصد منع أي عضو أو سلطة من أن تسود وتسيطر على غيرها من السلطات، فكل سلطة يجب أن تكون كفؤة للأخرى ويبدو أن هذه الكفاءة فسرها الأمريكيان على إنها تعني المساواة.

أما السلطة الثالثة عند لوك فهي السلطة الائتلافية أو الاتحادية، وهذه السلطة هي التي تقوم بإبرام المعاهدات أو التي تتعلق بالشؤون الخارجية للدولة وعلاقاتها بالدول الأخرى، ولهذا نجد إن لوك يفصل الشؤون الخارجية عن الشؤون الداخلية، التي هي من اختصاص السلطة التنفيذية، فكان واضع الدستور الأمريكي مخلصين لمبادئ لوك مما أدى بهم إلى فصل الشؤون الخارجية عن الشؤون الداخلية، وهذا بدوره أدى إلى صراع بين السلطتين التنفيذية والتشريعية حول أحقية كل منهما في قيادة السياسة الخارجية^(٤٦).

كما استلهم الأمريكيون المؤسسون نظرية جون لوك وفكرته في إن "السلطة العليا في البلاد هي السلطة التشريعية، فالمهم صنع القوانين ولا يمكن أن تنال من الملكيات وإن امتيازات السلطة التنفيذية محددة بالشكل الأكثر وضوحاً إنها سلطة ممنوحة للأمير لكي يراعى المصلحة العامة في الأحوال المتعلقة بالظروف غير المتوقعة وغير المحددة والتي لا يمكن من جراء ذلك تسويتها بقوانين محددة وجامدة"، فالسلطة التنفيذية والسلطة التشريعية في نظر لوك يجب أن لا تجتمع معاً وعلى السلطة التشريعية أن تكون أعلى من السلطة التنفيذية فهي بحسب تعبيره "الروح التي تعطي الشكل والحياة والوحدة للدولة"^(٤٧).

يتضح كذلك مدى تأثير فلاسفة عصر التنوير وأفكارهم التحريرية في جميع مفاصل الثورة الأمريكية التي جسدها الدستور الأمريكي ومن قبله وثيقة الاستقلال، فكانت أولى المواد الدستورية التي استلهمها

الدستور من مفكري عصر التنوير وثبتتها قبله وثيقة الإعلان، هو مسألة مدى شرعية الحكومة القائمة وإمكانية إسقاطها أو تغييرها في حالة انحرفت عن مسارها المعين لها، لاسيما في مسألة المحافظة على الحقوق التي أنشأت أصلاً للحفاظ عليه، إذ تبنت الولايات المتحدة الأمريكية فلسفة لوك وغيره في إمكانية استعمال المبررات القانونية للإسقاط الحكومة أو استبدالها إذ يؤكد لوك في هذا الجانب على إن "من حق الناس إسقاط الحكومة إذا فشلت في التزاماتها أو صادرت حقوق الثورة" ^(٤٨)، وحين كتب عن حق التمرد ضد الحكومات القمعية، ردد ميسن من بعده قائلاً "عندما أي حكومة تنقض أو تكون نقیضاً لهذه الاهداف، فللناس الحق في اصلاحها او تعديلها او الغائها" ^(٤٩)، فيما أيده جيفرسون حين قال " حينما يصبح أي شكل للحكومة مدمر لهذه النهايات، فمن حق الناس تعديله او الغائه او فرض حكومة جديدة" ^(٥٠)، وحين اشترط لوك ان تكون الممارسات القمعية واضحة قبل التحرك للتمرد ضد الحكومة قائلاً "حينما تصبح قطاراً طويلاً من الانتهاكات، المراوغة، التحايل، كلها تدار بذات الاسلوب، ما يجعل التقييم واضحاً ومرئياً للناس"، استخدم جيفرسون ذات العبارات حينما كتب قائلاً "ان الحاجة للثورة تصبح واضحة عندما يتابع قطاراً طويلاً من الانتهاكات والاعتصاب دائماً بنفس الحجم، ما يبرهن النية نحو الحكم المطلق" ^(٥١).

وإيماناً من واضعي وثيقة الاستقلال بهذا المبدأ فأنتهم أدرجوه ضمن الوثيقة التي أكدت على انه متى: "أصبح أي نوع من الحكومة هادماً لهذه الغايات، كان من حق الشعب أن يغير الحكومة ويلغيها وان ينشئ حكومة جديدة، تقوم على أساس من المبادئ وتنظم سلطاتها بالطريقة التي يرى الشعب أنها أكثر احتمالاً لتحقيق أمنه وسعادته، وعندما يتعرض أبناء الشعب إلى الاضطهاد والعبودية المطلقة يكون من حقهم أن يتصلوا ويقيموا حكومة جديدة مسؤولة عن أمنهم ومستقبلهم عن مثل هذه الحكومة وان يقيموا حراساً على أمنهم في المستقبل" ^(٥٢). فأراد جيفرسون من هذا النص أن يؤكد بان الناس هم من صنع الحكومة كي تقوم بالعمل الجيد لخدمتهم لا بالعمل السيئ، صنعوها لتحميمهم لا لتلحق الضرر بهم، وفي اللحظة التي تفشل فيها الحكومة في تحقيق الغايات التي من اجلها أنشئت فإنها بذلك تكون غير مستحقة لتأييد الشعب وولائه وبإمكان هولاء الناس الثورة عليها وإلغائها وإقامة أخرى جديدة بدلا عنها.

ولعل من أهم الأمور التي نادى بها فلسفة عصر التنوير عموماً، وفلسفتي روسو ولوك خصوصاً، هي مسألة تقيد السلطة، وعدم جعلها مطلقة، لان ذلك بنظرهم سيقود إلى خلق نظام دكتاتوري، إذ قال لوك "إن السلطة يجب أن تكون مقيدة لا مطلقة، فهي مقيدة لأنها تشتق سلطاتها من الشعب إذ هي موكلة منه لتحقيق غايات محددة معينة" ^(٥٣). فتبنى الأمريكيون في دستورهم هذه الفكرة وسعوا جاهدين إلى رسم الحدود الدستورية ولاسيما للسلطة التنفيذية، وتحديداً عند صلاحياتها في إصدار القرارات، فيتعين على مسؤول السلطة التنفيذية، أن يتوصل إلى حلول وسطى مع الكونغرس إذا ما أراد إقرار تشريع ما، ويبدوا إن الآباء المؤسسون نجحوا في تحقيق ما كانوا يصبون إليه، إلى الحد الذي دفع بأحد الرؤساء بعد عدة سنين إلى القول: "إن من السهل هزيمة مشروع قانون في الكونغرس، إلا أن إقرار مشروع قانون هو أكثر صعوبة بكثير" ^(٥٤).

حاول رجال الفكر والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية إن لا يتركوا شيئاً من فلسفة مفكري عصر الانوار فيما يخص السياسية ونظام الحكم إلا ويجسدوها في دستورهم، ولذلك سعى الكثير منهم إلى الوصول إلى مفهوم العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم، كأساس لشرعية السلطة، ومع اختلافهم على اغلب التفاصيل العقد الاجتماعي إلا أنهم اتفقوا على فصل والتمييز بين " الدولة " و " الحاكم " سواء اخذ شكله الملكي أم الأميري^(٥٥).

وكانت أولى تلك التغيرات هي في إعادة تحديد مفهوم السيادة، التي هي عند روسو تعبر عن الجماعة، ويتم إسنادها إلى شخص أو أشخاص آخرين غير الجماعة بأكملها يهدم المساواة التي يهدف العضو إلى الحفاظ عليها وعلى ذلك فسيشارك الأفراد جميعاً في ممارسة السلطة وهذا يعني في جانبه الآخر تقرير الاقتراع العام لجميع الأفراد الذين بلغوا سنّاً يؤهلهم للاشتراك في السلطة^(٥٦)، ومن هنا أصر الأمريكيين على فكرة إتباع الانتخابات كطريق رئيس لاختيار السلطات التنفيذية المختلفة في البلاد.

كان التأثير الأبرز لفلسفة عصر التنوير على النظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، برز في تبنيها " للجمهورية " كفلسفة وشكلاً لنظام الحكم، الذي كان لابد أن يسود في جميع المقاطعات الأمريكية، ولذلك اقر الدستور الأمريكي في القسم الرابع منه النظام الجمهور باعتباره نظاماً موحداً في كل الأقاليم، ورفض رفضاً مطلقاً أن يتم اعتمد أي نوع آخر من أنواع الحكم لاسيما الملكية منها ، في أي ولاية من ولايتها وأخذت الحكومة المركزية على عاتقها ضمان إقامة النظام الجمهوري في كل ولاية من الولايات الأمريكية والسعي للمحافظة عليها وحمايتها^(٥٧).

لم يكن النظام الاقتصادي الذي انشأ في الولايات المتحدة الأمريكية، بعيد هو الآخر عن النظريات والتطبيقات الحديثة لعصر التنوير، فكان الكسندر هاملتون وهو من الآباء الأوائل المؤسسون للولايات المتحدة الأمريكية ،الراعي الحقيقي لعملية تطبيق نظريات ومفاهيم عصر التنوير في الاقتصاد الأمريكي، لاسيما وان الأخير تأثر كثيراً بنظريات ادم سميث (Adam Smith) (١٧٢٣-١٧٩٠) في الاقتصاد الحر، وسعى دائماً إلى تطبيقها لاسيما مع محاولاته التخلص من النظرية الماركنتيلية (Mercantilism)^(٥٨)، وبناء اقتصاد حر يعتمد الملكية الفردية، وحينما دعا ادم سميث رائد التنوير الى اطلاق حرية التجارة والعمل ، "وان على الحكومات ان تبتعد عن التحكم المركزي الشمولي بالاقتصادي"، تبنى الامريكيون سريعاً أفكاره، فمنحوا التجارة حرية اكبر، وشجعوا العمل الحر، وعدم التدخل المباشر، فترك ذلك تأثيره واضحاً على الصناعة الأمريكية فيما بعد، ومما زاد من نشاط هاملتون الاقتصادي في هذا المجال قرأته وتأثره بأفكار اقتصادي وفيلسوف كبير آخر من فلاسفة عصر التنوير هو جون ستيوارت ميل (John Stuart Mill)، ولاسيما في مؤلفه (Principles of Political Economy) (مبادئ في الاقتصاد السياسي) إلى جانب إعجابه الشديد وعشقه الأكيد إلى أفكار الاقتصادي الانكليزي الكبير ديفيد هيوم، ذلك الإعجاب الذي كثيراً ما سبب له المشاكل بسبب كون هيوم انكليزياً محافظاً دافع في أحيان كثيرة عن مساوئ النظام البرلماني " الارستقراطي " في انكلترا وحاول أن يجد لبعض أخطاء أعضائه مبررات تاريخية وفكرية الأمر الذي كان يثير استياء الكثيرين ضده .

الخاتمة :

خُصّصت الدراسة إلى جملة من القناعات الخاصة والعامة فيما يتعلق بالتأثير الذي تركه عصر الأنوار ليس فقط في استقلال الولايات المتحدة الأمريكية حسب، بل في الوجود الأمريكي ككل، إذ لم يقف تأثير عصر الأنوار عند حد رجال السياسة والفكر فقط، أو عند دعوتهم إلى الاستقلال فقط بل امتد إلى ابعاد من ذلك، ليشمل مختلف الفئات والمؤسسات الرسمية والشعبية في البلاد، فرأينا كيف إن من أوائل من ساهم في تبني فكر عصر الأنوار وسعى إلى نشره في المستعمرات هي المدارس والمؤسسات الدينية البيرووريتانية، التي كان من المفترض أن عقيدتها تتقاطع تماماً مع عقيدة عصر الأنوار التي غالباً ما وصفت بأنها " الحادية " تسعى بالمجتمعات إلى نبذ الدين وإحلال العقل المادي محله، ولم نجد مبرراً لهذا التوافق الذي حصل بين تلك المؤسسات وفكر عصر التنوير، سوى أن ساسة ومفكري عصر التنوير حينما استوردوا فكر عصر التنوير الأوروبي لم يستخدموه إلا بعد أن اجروا عليه تعديلاً فكرياً بما يتناسب وواقعها السياسي والاجتماعي الذي كانوا يحيونه في ذلك الوقت من تاريخهم، وهو الأمر الذي سمح له بالاستمرارية والصمود حتى اليوم، الحاضر، بمعنى انه سمح له أن يتحول إلى عقيدة فكرية يتبناها اغلب سكان الولايات المتحدة الأمريكية اليوم، لهذا هم حريصون كل الحرص على استمرار بعض المؤسسات والوجودات التي مثلت في حقيقتها الجسد الحي لفكر عصر الأنوار ولاسيما الدستور الأمريكي الذي أصبح لدى سكان الولايات المتحدة من القداسة بمكان لدرجة أنهم يتقبلونه كشئ بديهي لا مناص ولا غنى عن الاستغلال بظله .

أما الشئ الآخر الذي أسهم في تبني الآباء المؤسسين لفكر عصر الانوار، فقدان البديل بشكل مطلق في ذلك التاريخ، فلم يكن إمامهم إلا اعتماد الفكر القديم الذي كان يسود قارة أوروبا متمثلاً في بنائها السياسي والاجتماعي الذي عاشت المستعمرات ويلاتة أو تجربة الفكر الجديد الذي في اضعف الأحوال فانه سوف يخلص الطبقة الحاكمة وهي الطبقة الارستقراطية في الغالب من سيطرة الفكر الديني ورجال عليها مما يطلق يدها حرة في بناء النظام السياسي الذي تشاء والذي يسمح لها بالاحتفاظ بامتيازاتها السياسية .

أضف لكل ما تقدم فأن تبني الآباء المؤسسين لبعض النظريات الاقتصادية التي نادى بها فلاسفة عصر الأنوار سمح لهم بالاحتفاظ بملكياتهم الواسعة وتوسيعها تحت مسميات الحرية الفردية والملكية الخاصة والتنافس الحر وغيرها ، ولكن مع كل ذلك فلا يمكن لأحد أن يحصر تبني الآباء المؤسسون لفكر عصر الأنوار على انه تبني شخصي من اجل مصلحة خاصة بل الأمر في حقيقته يتعد ذلك بكثير انه مسألة تتعلق بإثبات الوجود واستمرارية البقاء .

الهوامش والتعليقات

(١) روبرت بالمر، الثورة الفرنسية وامتداداتها، ت. هنري عبودي، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢، ص ٥٦.

(٢) مجموعة مؤلفين، إشكاليات التعارض وآليات التوحيد: العلم والدين من الصراع إلى الاسلام، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٠.

(٣) جاء التنوير بمعاني مختلفة فهو مثلاً في ألمانيا يعني " التوضيح".

(4) Quoted in : Joseph .Wheless, Forgery in Christianity, éd. Health Research, 1930, P.406

(٥) مجموعة مؤلفين، إشكاليات التعارض ...، ص ٢٨.

(٦) مقتبس في : المصدر نفسه، ص ٢٨.

(⁷) Quoted in : Knud Haakonssen. "The emergence of Rational Dissent." Enlightenment and Religion: Rational Dissent in eighteenth-century Britain. Cambridge University Press, Cambridge: 1996. PP.17-22

(⁸) Quoted in :Edward B. Davis, Robert Boyle's Religious Life, Attitudes, and Vocation¹, Science & Christian Belief, Vol 19, No. 2 , P. 117

(^٩) هاشم صالح ، المصدر نفسه ؛ روزنتال ويدوين ، الموسوعة الفلسفية ، ت. سمير كمر ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٧، ص١٤٥-١٤٦ .
(^{١٠}) أسهمت عوامل عديدة في دفع المستعمرات الأمريكية لإعلان استقلالها عن بريطانيا البلد الأم، ومع أن المؤرخين ذكروا أسباب كثيرة غير أن معظمها يرجع في الأساس إلى حالة النضج السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي باتت تعيشه المستعمرات والذي صار يتعارض كلياً مع طبيعة السياسات والأنظمة الموجودة في بريطانيا، إلى جانب السياسة الضريبية القاسية التي اتبعتها بريطانيا تجاه المستعمرات، ما دفع سكانها إلى إعلان الانفصال والمطالبة بالاستقلال، وللمزيد من التفاصيل يرجع:

Henry Cabot Lodge , A Short History of the English Colonies in American, Harper and brother, New York, 1881. PP.512-527.

(١١) ولد في ١٧ كانون الثاني ١٧٠٦ في مدينة بوسطن /ماساشوسيتس ، سبق أن عمل في عدة مجالات منها مديراً لدائرة البريد في فيلادلفيا، انتخب عضواً في المجلس التشريعي ١٧٣٦- ١٧٥١ ، قضى معظم سني حياته وزيراً مفوضاً في فرنسا إذ ساعد في التفاوض وكتابة معاهدة ١٧٨٣ ، كما أسهم في كتابة دستور عام ١٧٨٧ ، وإلى جانب عمله السياسي فقد كان عالماً ومخترعاً مشهوراً ، توفي في ١٧ نيسان ١٧٩٠ بذات الرئة ، يرجع للمزيد:

H. W.Brands, The First American: The Life and Times of Benjamin Franklin , Easton Press, 2000.

(^{١٢}) ولد توماس جيفرسون في عام ١٧٤٣ ، شغل منصب حاكم فرجينيا (١٧٧٩-١٧٨١) ووزيراً للخارجية في إدارة الرئيس واشنطن نائباً في إدارة الرئيس جون آدمز، أصبح الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية خلال انتخابات عام ١٨٠١ ثم عام ١٨٠٩ ، توفي في عام ١٨٢٦ ، يرجع للمزيد :

Lance .Banning , The Jeffersonian Persuasion: Evolution of a Party Ideology, Cornell University Press,1978.

(^{١٣}) ولد عام ١٧١٥ في ولاية فرجينيا ، تلقى تعليمه في كلية نيوجرسي ،انتخب عام ١٧٧٦ رئيساً لمؤتمر فرجينيا الدستوري ،أصبح عضواً في الكونغرس عام ١٧٩٠ ثم وزيراً للخارجية في عهد إدارة توماس جيفرسون، فاز بالانتخابات عام ١٨٠٨ الرئاسية وأصبح الرئيس الرابع للولايات المتحدة، توفي عام ١٨٣٦، يرجع للمزيد:

US Government Guide. The Oxford Guide to the United States Government.

(١٤) حول التنوير الاوربي يرجع : هاشم صالح ، مدخل الى التنوير الاوربي، دار الطليعة ، بيروت، ٢٠٠٥ .

(١٥) للنظر بصورة أكثر تفصيل حول تأثير التنوير الاسكتلندي في التنوير الامريكي يرجع:

Fleischacker, Samuel. "The impact on America: Scottish philosophy and the American founding." In The Cambridge Companion to the Scottish Enlightenment, edited by Alexander Broadie, Cambridge: Cambridge University Press, 2003.

(16) Stuart A. Kallen, ed. World History By Era: The Age of Revolution. Vol. 6. San Diego: Green haven Press, 2002.

(17)How did the Enlightenment impact the American Revolution – www. Answers.htm

(^{١٨}) طائفة دينية ظهرت في أواخر عهد الملكة إليزابيث الأولى ويقصد بها المطهرون وكانت تدعو إلى ترك العلاقة بالكاثوليك والبابوية والتأكيد على إن الإنجيل هو المرجع الوحيد وترك كل ما هو مخالف لجوهر الدين وتطهير الكنيسة الانكليزية من الأمور التي شابتها وكان معظم البوريتان من الطبقة الوسطى ومنهم التجار المثقفون وأصحاب الأعمال ، للمزيد ينظر :

John Spurr, English Puritanism, 1603-1689, Palgrave Macmillan, 1998.

(19) Morgan .Edward , Puritan Political ideas 1558-1794 , Indianapolis , Bobs –Merrill , 1965, P.255.

(20) Quoted in : " The Enlightenment" Encyclopedia of the north American Colonies, Vol. 3 , 1993.

(٢١) وزارة الخارجية الأمريكية ، موجز الأدب الأمريكي ، ص ١٦ .

(٢٢) ولد في عام ١٧٥٧ ، وكان من أهم الشخصيات التي أسهمت في بناء الولايات المتحدة خلال مرحلة الاستقلال ، وعمل مدة من الزمن مستشاراً في إدارة واشنطن ، وعلى الرغم من أنه ترشح للانتخابات الرئاسية عام ١٨٠٤ إلا أنه لم يفز فيها ، توفي عام ١٨٠٤ ، وحول الرجل ودوره في التاريخ الأمريكي الحديث ، يراجع.

Jacob Ernest. Cooke , Alexander Hamilton, Charles Scribner's Sons, 1982.

(٢٣) ولد في ٣٠ تشرين الأول ١٧٣٥ ، اختير بعدها لعضوية مجلس ماساشوستس التشريعي كما عمل مندوباً للكونغرس القاري فكان احد الشخصيات التي صاغت إعلان الاستقلال ، تنقل في مناصب عدة منها وزيراً لبلاده في فرنسا وهولندا وبريطانيا العظمى (١٧٧٨-١٧٨٨) كما عمل نائباً للرئيس للمدة (١٧٨٩-١٧٩٧) ثم رئيساً للبلاد (١٧٩٧-١٨٠١) ، توفي في ٤ تموز ١٨٢٦ ، يراجع للمزيد عن حياته ورئاسته:

Stephen G . Kurtz, The Presidency of John Adams: "The Collapse of Federalism", (1795–1800), 1957..

(٢٤) ولد في بوسطن ، في ٢٧ أيلول ١٧٢٢ ، وفي عام ١٧٧٢ ، عمل ناطقاً باسم جماعة أبناء الحرية ، كما عمل عضواً في المجلس التشريعي (١٧٦٥-١٧٧٤) ، أصبح مندوباً في الكونغرس القاري (١٧٧٤-١٧٨١) ، كما عمل حاكماً لولاية ماساشوستس (١٧٩٤-١٧٩٧) ، توفي في ٢ تشرين الأول ١٨٠٣ ، يراجع للمزيد:

Carl L.. Becker , "Samuel Adams". Dictionary of American Biography , part 1 , New York: Scribner's, 1928, PP.95-101.

(٢٥) حول مفهوم الحقوق الطبيعية ، وموقعها في السياسة والفلسفة الأمريكية اثناء الثورة يراجع :

White, Morton. The Philosophy of the American Revolution. New York: Oxford University Press, 1978.

(٢٦) ولد في تنفورد ، انكلترا ، في مقاطعة نورفولك ، في التاسع والعشرين من كانون الثاني ١٧٣٧ ، وفي عام ١٧٧٤م هاجر الى المستعمرات الأمريكية في العالم الجديد ، حينما كان يعمر السابعة والثلاثون عام ، وعمل في مهن عديدة ولاسيما في مجال الصحافة والسياسة واتبع اسلوباً ثورياً راديكالياً ، كان من اشهر الفلاسفة السياسيين في المستعمرات ومن اوائل من دعا للاستقلال عن بريطانيا البلد الام . ومع انه الف العديد غير ان مؤلفه " الاحساس المشترك) يبقى اشهرها واهمها في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ، اذ اسهم هذا المؤلف في الاسراع في اعلان المستعمرات رغبتها الاستقلال عن بريطانيا ، عاش في فرنسا لمدة من الزمن وكتب عن حقوق الانسان والثورة الفرنسية ، أدت هجماته على الكاتب البريطاني ادموند بيرك لمحاكمته وادانته غيابيا في ١٧٩٢ لارتكابه جريمة التحريض على الفتنة ، في ديسمبر ١٧٩٣ ، أُلقي القبض عليه واقتيد إلى سجن لوكسمبورغ في باريس ، وفي عام ١٨٠٢ ، عاد إلى الولايات المتحدة حيث توفي في ٨ حزيران ، ١٨٠٩ . للمزيد حول الرجل وافكاره وفلسفته ودوره في التاريخ الأمريكي الحديث يراجع:

Moncure Daniel Conway, The Life of Thomas Paine. Vol.1 , William Cobbett, 1892.

(٢٧) للنظر بصور اكثر تفصيل حول تلك المفاهيم يراجع :

Thomas Paine, Common Sense, Published: 1776.

(٢٨) سعت بريطانيا ومنذ استعمارها للعالم الجديد الى اصدار الكثير من التشريعات التي كانت تهدف الى تقييد تجارة وملاحة سكان المستعمرات وتحولها لمجرد مورد للمواد الاولية وسوق لتصريف البضائع وكان هذا الامر من بين الاسباب التي دفعت سكان المستعمرات للمطالبة بالاستقلال ، يراجع :

(29) Boorstin ,Daniel .J, The Lost World of Thomas Jefferson , Chicago university press ,chicago,1993

(30) Randall , W.S, Thomas Jefferson , A life , New York ,Henry holt and company ,1993.

(٣١) ولد في ٢٢ شباط ١٧٣٢ في مقاطعة ويست ميرلاند التابعة لمستعمرة فرجينيا ، لم يتلق التعليم الكافي في المدارس الأكاديمية، وانصرف للاهتمام بامتلاكات والده منذ الصغر ، قدر له أن يصبح عضو في المجلس التشريعي لمستعمرة فرجينيا منذ عام ١٧٥٣ ، اشترك في الحرب الفرنسية الهندية عام ١٧٥٣ ليصبح بعدها قائداً لقوات فرجينيا (١٧٥٥-١٧٥٨) ، شغل بعدها منصب في محكمة السلام في فاريافس ما بين عامي (١٧٦٨-١٧٧٤) ومن ثم مثل ولاية فرجينيا في المؤتمر القاري الأول والثاني ، قاد بعد ذلك جيش الولايات المتحدة الأمريكية في حرب الاستقلال ليصبح بعد ذلك رئيساً للمؤتمر الدستوري ومن ثم رئيس للولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تم انتخابه بالإجماع لدورتين متتاليتين (١٧٨٩-١٧٩٧) ورفض الترشيح للمرة الثالثة عام ١٧٩٧ استمر قائداً عاماً للقوات الأمريكية حتى وفاته عام ١٧٩٩ ، ينظر .

Burton E. Stevenson, American Men of Action, Doubleday, age & company

1913 , PP.28-42.

(32) Quoted in : Henry J. Sage ,The Enlightenment in America , 2005 on website .www.sagehistory.net

(٣٣) يراجع مضمون ذلك في :

Michael .Zuckert, The Natural Rights Republic, Notre Dame University Press, 1996, pp. 73–85

(34) Quoted in : Steve Coffman, Words of the Founding Fathers ,McFarland &Company , 2012, P.9.

(35)Quoted in: Robert .Rutland, The Papers of George Mason ,vol. 1 , 1970, pp. 274–289

(36)Quoted in : Thomas ,Jefferson , The Declaration of Independence 1776,on website www.teacherzo .com.

The declaration of independence , from ,james .A. Banks and Other ,United States Adventures in (37)Time and Place , Macmillan New York , 1997, P.16.

(38) Quoted in : John Locke,. Two Treatises of Government. Ed. Peter Laslett. , Cambridge University Press ,1988, P.137.

(39) Quoted in : Robert .Rutland, The Papers of..., pp. 274–289

(40) The declaration of independence , from ,James .A .Banks and Other ,United States Adventures in Time and Place , Macmillan New York , 1997, P.16.

(٤١) وزارة الخارجية الأمريكية ، موجز التاريخ الأمريكي ، ، ص ٤٤.

(٤٢) في الواقع إن فكرة فصل السلطات لم تكن من نتاج مونتسكيو الخاص بل سبقه إليها الكثير من الكتاب والمفكرين والفلاسفة ابتداءً بأرسطو وحتى جون لوك في انكلترا إلا إن مونتسكيو أقام للنظرية عمقاً واضحاً حيث اتخذ من فصل السلطات أساساً لكل حكومة منظمة بصرف النظر عن الحكومات القائمة في عهده أي جعلها أساساً ضرورياً للدولة المثالية ، عبد الجبار عبد المصطفى ، الفكر السياسي الوسيط والحديث ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٦ ،

(43) Quoted in : John Locke,. Two Treatises of Government...., P.137.

(٤٤) تضم السلطة التشريعية في البلاد مجلسي الشيوخ والنواب فيما تضم السلطة القضائية "المحكمة العليا التي تشرف على حل النزاعات والخصومات وتحقق من مدى شرعية القوانين التي يصدرها الكونغرس مع بنود الدستور الأمريكي ، فيما تختص السلطة الثالثة وهي السلطة التنفيذية على إدارة وتطبيق التشريعات إلى يصدرها الكونغرس الأمريكي وللوقوف بشكل أكثر تفصيل عن دور ووجبات كل قسم من الأقسام الثلاثة وطريقة انتخابه ينظر ، دستور الولايات المتحدة الأمريكية

Founding Fathers, The United States' Constitution, Edition: 11, 1975

(٤٥) حسن شحاته سغفان ،أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية ، مصر ١٩٥٩ ، ص ٢٣٨ .

(٤٦) حسن شحاته سغفان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٤٧) مقتبس في : جان توشار ، تاريخ الفكر السياسي ، ت. علي مقلد ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٢٩٦.

(48) John . Locke, Two Treatises of Government, Cambridge: Cambridge University Press, 1988 P. 122

(49)Quoted in: Robert .Rutland, The Papers of, pp. 274–289

(50) Quoted in : Steve Coffman, Words of ..., P.17.

(51) Quoted in : Steve Coffman, Words of ..., P.17.

(52) Thomas ,Jefferson ,The Declaration of Independence 1776, www.teacherzo .

(53) Quoted in : Robert .Rutland, The Papers of ..., pp. 274–289

(٥٤) مقتبس في : وزارة الخارجية الأمريكية ، موجز نظام الحكم الأمريكي ، ص ٧٠-٧١.

(٥٥) ثروت بدوي ، النظم السياسية ، دار النهضة العربية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص١٤٨.

(٥٦) عبد الجبار عبد مصطفى ، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٥٧) انظر القسم الرابع من الدستور في:

Founding Fathers, The United States' Constitution, Edition: 11, 1975.

(٥٨) وهي مذهب سياسي-اقتصادي اجتاحت الدول الاوربية بين بدايات القرن السادس عشر ومنتصف القرن الثامن عشر، ويقوم على أساس أملاك الدولة لكميات كبيرة من الذهب والفضة وذلك عبر تدخل اكبر منها في مفاصل الاقتصاد بكل ابعاده، وبذلك يعتقد اصحاب هذا المذهب ان الدولة كلما زادت كميات الذهب والفضة التي تمتلكها زادت قوتها الاقتصادية. للمزيد حول هذه المذهب يراجع :

Charles .Wilson, , Mercantilism, London: Routledge and Kegan Paul, 1963.